لاصق بجلده . وقد رجوته ان يعود ، ان يعود الينا ، الى ترابنا ومياهنـــا ، يستريح من هذه الوعثاء التي لا يرى لها من آخر . وكنت واثقا من انه سيعود ، رغم اللاي المرتسم علـــى وجهه السكوت. ولم اكن اعلم ان الضغوط الجائرة التي عاناها في اعوام طويلة من الالم ستمد الى قلبه تلك اليد الشرسة ، يد ذلك الذي حدق في وجهه طويلا ، ومازحه ، ولم يخف من سطوته . ولم يعد توفيق .

غير ان توفيق صايغ في واقع الامر سيعود ، ولن يغادرنا ، اذا اعطيناه حقه . وحقه علينا قائم في كتبه ، هذه التي سيعود فيها الينا ، فتبقى انفاسه حية ، متقدة ، جزءا من كياننا ، وتفكيرنا . هنا ، معنا، بيننا، يجب أن ينتهي تطوافه.منذ سنوات قال « النفي من الوطن ليس أشق منه الا النفي الى الوطن . كنت أحلم ببلدي ، فأفيق أرتجف . كنت اتصور ذاتي عدت ، مخطرا مسافـــا ، واحطت بمواطني (الذين رجعت اليهم، وأحببتهم ، واتركهم غدا بحسرة ودمعة لم تعرفها العين منذ زمن) ، فاصرخ بوجههم : « لان رفاقي القدامى ، مخصبي التيه ، عادوا اليكم ، يهدهم اثم اثقل منه الشعور به ، لان الذين باعوا الدنا معي عينتوهم موظفين، ومتمـــردي الشعر يعلمـــون الفرزدق في المدارس الثانوية ، ظننتموني رجعت ، وانسقت مع من لم يكونوا ينساقون لاحد ؟ » وكنت أشرئب في القلاع الهوائية ، اتحداهـــا برمح صداه : « لاني لا استطيع ان احيا بغير جذور ، ظننتموني سأحيـــا كالجذور ، في خمول وظلام وصقيع ؟... »

« ان خوفي من الرجوع ، المتجلي في هذه الصرخة، انما كان الخوف من ان يكون الرجوع انتهاء ، من ان اعود الى الاهل والصحب والوطن ، لا كما تعود البذرة الى تربتها الام ، لتعطي وتحيي وتحيا، بل كما تعود الورقة لتوسخ وتذوي ... »

هذا الذي باع الدنا من غير ما تردد ، يجب ان يكون رجوعه الينا رجوع البذرة الى تربتها الام ، كما تمنى . ولئن تعصف بنا الفجيعة بموته ، فانه بموته يحيي قضية شعره ، وشعره سيمنع الرجوع من ان يكون انتهاء ، بل انه سيبدأ دورة جديدة من الحياة ، تعطي وتحيي وتحيا ـــ دائما . فليكن لنا بهذا بعض عزاء .

صدر حديثا

هجرة الادمغة والهجرة المضادة من اسرائيل

بقلم الدكتور الياس زين

نتكلم دوما عن الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة .

وهذه اول دراسة عن الهجرة اليهودية من فلسطين المحتلة ، وعودة اليهود الى مواطنهم الاصلية .

بحث تحليلي مدعم بالاحصاءات والجداول .

بالعربية (٢٠٠ صفحة) ٢ ل.ل

منشورات مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

شارع كولمباني المتفرع من شارع السادات

بناية الدكتور راجي نصر ـــ ص.ب ١٦٩١ ـــ بيروت